أضغاثُ أحلام

جهاد نجيب

أَضْغَاثُ أَحْلام*

جهاد نجيب

---

*كتاب إلكتروني يضم مجموعة من أعمالي المنشورة على صفحات مدونتي الإلكترونية "أحلامٌ استيقظت" وأعمال أخرى تُنشر لأول مرة.

أضغاثُ أحلام

جهاد نجيب

أبريل 2012

مراجعة لغوية

لُبنى أحمد نور

تصميم الغلاف

جهاد نجيب

بِدَايَةً

"لكي تطيرَ بجناحي حُلمٍ، لابد أن تتخففْ أولاً من كلِّ ما يُثقلك"

إِهْدَاء

إلـى هـؤلاء الـذين ينتظـرون كلمـاتي بصـبرٍ، ويغفـرون تقصـيري، وإلـى الإنسـانيةِ المطـرودةِ، اللاهثَـةِ بحثًـا عـن قلوبٍ بشرية.

جهاد

لِنَتَهَيَّأ

قبل الشروع:
بعيدًا عن قصصِ الحبِ التي قتلها العشاقُ غباءً،
وقتلها الأدباء تلفيقًا وخداعًا..
بعيدًا عن قيس الأكثر تبجحاً..
بعيدًا عن روميو الأكثر تخاذلاً..
بعيدًا عن عنترة،
الذي لم يعتبر حبيبته أكثر من غزوةٍ لا يطيقُ فيها انهزامًا.
بعيدًا عن هؤلاء...
بعيدًا عن الفلسفات التي تسببُ الهذيان..
بعيدًا عن الأساطيرِ المهترئة..
بعيدًا عن الحقائقِ المفتعلة..
أكتبُ عن أحلامٍ استيقظت محطمةً على صخورِ العجز..
و أخرى استيقظت قوية...
وأقسمت ألا يجيء الليلُ قبل أن تنظف لوثَ الواقع.

بداية:
لا تدري كم احتاجت من الألمِ في البداية لتدرك بعدها...
كم هي رائعةٌ حياتها.
لم تدرك جمالَ تقاسيمِ وجهها إلا بعدما...
حطمت كلَ المرايا فلم تعد ترى انعكاسًا لها...
فقط هي, حقيقية.

ذكريات:
اجعل ذاكرتك كألبومِ صورِكَ الفوتوغرافية...
لا تحتفظ إلا بما تريد الاحتفاظ به.
لا تلتقط إلا ما تجده جميلاً...
هل رأيت يومًا من يلتقط صورةَ مقلبِ قمامة أو فأرٍ ميت؟!
إلا لو كان مريضًا نفسيًا، أو رأى في مقلب القمامة، أو في سكون الفأرِ القتيل جانبًا رائعًا لا يراه غيره. وفي جميع الأحوال لن يشعر بغير الرضا كله عندما يطالع صوره.

استيقاظ:
فجر الأحد الرابع من يوليو/تموز... تمخضَ المستحيل عن طفلةٍ أسميتها أحلام. نبأتني العرافة أنها حين تكبر ستجعل باطنَ الأرضِ في ظاهرها وظاهرها في الباطن.
لا مجالَ أمامي سوى أن أتبناها، فهي الآن يتيمة...
لأن المستحيلَ مات.

ذِكْرَى وذِكْرَى

"أَمَامَ مَهدِ ذِكرَى وعَلى طَلَلِ أُخرَى... أَكتُب".
مـن جـذوع الشـجر نأخـذ المِهَـاد. الأشـجار تسـتقي الحيـاة بجـذورها الضـاربة بقلبِ الأرض الذي يعجُ بالراحلين.
والقلم ينزف حبره لكي تحيا بهِ الأوراق والذكرى، يودع بذور حبه رحم القلوب فتضعُ بين حينٍ وحين حلمًا أو أمنية!

طقوس:
ولنا في الذكريات حياة.
حملتها السماءُ لي، تبينتها لمّا تبين الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجر.
بـدت مـابين شـمسٍ وقمـر. صـحوتُ علـى صـوتها وصَـحَتْ علـى صـوتي. بَـدأَتْ فـي البكـاءِ الطفـولي الـذي يحمـل الاطمئنـانَ بـأن الصغيرة على ما يرام.
فتوقفتُ عن البكاء لتنبت ابتسامةٌ صغيرةٌ مع سقوطِ آخر دمعةٍ على شفتي. حملتها معي وجلستُ على شرفةِ الغد، أرتشفُ شـاي الصـباح علـى شَرَفِهَا.
كُنتُ قد حَزمتُ حَقِيبَتي بالفعل. طائرةٌ حملتني مساء يومها إلى حيثُ تنتظرُ تأشيرةَ دخولي إلى عالمٍ جديد.

*****

اليوم أحتفل، وأشرب الشاي -ولكن- نخب الحلم المُكتمل. أحلق في سماءٍ أخرى معلقةٌ بعينين أحبهما "ليستا زرقاوين".
وبعد دعاء السفر, أردُ دعاءً اعتدتُ ترديده في الساعاتِ المستجابة:
"اللهم لا تحرم من أحسن إلي"- أُكَرر...

وفي نهايةِ المطاف... أعودُ لأغفو على القلبِ الذي لا أرتاح بعيدًا عنه، هنا بينكم.

لَدْغَتَان

كلُ الأحلام استيقظت، لكنها وحدها لم تزل تصبُ العرقَ من جبهتها والدموع من عينيها تحت تأثيرِ الكابوس.

الكابوس:
ما زالَ يأتيها بين الحينِ والآخر.
نقشٌ أتقنتـه هذهِ المرة، لدغـةُ الغدرِ، ونـارُ التشـفي إذ تتـألم. يلـدغها مرتين، يتخاذل الأهلُ والأصدقاء في إحضارِ مصلهِ.
"ستموتين على كلٍ، لا تُزعجي".
نَجَت...
لونُ الحناءِ لم يزل يذكرها بلونِ الجرحِ، طعمُ الدمِّ الذي أُجبرت على تذوقه لتبقى على قيدِ الحياة.

تَرَكَ لها الغدرُ خلفَ نابِهِ -بغير رغبةٍ منهُ- هديـةً... أن لـن يقتُلَهـا سمٌّ ثعبانٍ مادامت -هي- حية.

شَغَفٌ أَوَّل

حلم:
حلـمٌ لا تسـتطيعُ الصـحو منـه. فـي الليـلِ يـأتي بكـلِ قدرتـه... وفـي الصباح؛ يلقي صورةَ الفرحِ الكاملِ في مقلتيها.
يشردُ بها بعيدًا بعيدًا نحو اللا مستحيل.

فنجانُ شاي:
فنجانُ شايٍ وقطعة كيك لا غير.
يحضر طيفٌ فأعرض عليهِ أن نقتسم كليهما، لا يجيب... ويكتفي بالتحديق فيّ.
موسيقى الصباح الكلاسيكية، ورقصة طيفين أحدهما يشبهني، والآخر... لا شبيه له.

شاطئ:
رمالٌ تدغدغُ قدميه الحافيتين... فيرتجف. نسائمُ تعبأُ قميصَه الواسع برائحة الملح التي تصيبُ بالخمول... فيَسقط.
ومدٌ وجزر.
وأمواج بحرٍ تراود الفتى عن الغوصِ في أعماقها... فيهمُّ ملقيًا هَمّه.

أشياء:
علمٌ وعملٌ وسحرٌ بحق..
ومرآة كفٍ وكحل العيون..
وقلمٌ وكشكول درس..
وغرسٌ لم تنضج ثماره..
وعصفورٌ لم ينبت له بعد الجناح..
بخورُ الثياب..
طلاء الأظافر..
مرطب اليدين..
حقيبةٌ تضم احتياجات يومٍ..
حذاءٌ صغيرٌ..
وباب.

شَغَفٌ ثَانٍ

"على هذهِ الأرض ما يستحقُ الحياة"
- محمود درويش

كلُّ جرحٍ تُداويه العطور
سحجاتُ اللعب الطفولي
ألم الاشتياقِ يداويهِ عطرُ المُفْتَقَد
كذا آلام الفراقِ يداويها عطرٌ جديدٌ
يغطي رائحة الذكريات ولا يحملُ أيًّا
*****
تعشقُ أي حلوى لها طعم الكراميل "السُّكرِ المحترق"..
ألا نتفق أن النار تجعَلُ طعمَهُ أكثر عمقًا؟!
كذلك قلوب البشر
*****
سيدي... أُحيطُكَ علمًا أنكَ أنتَ الحياةَ التي أستحقُها، وأَنْتَ خيال.
كلانا كلمتانِ في أغنية..
حرفانِ -فقط- لا يُجيدُ الشعراء أكثر من الاشتقاقِ منهما..
مَذهبٌ في قصيدةِ نرتادُ كاتبها، ونتبع جنونَ حرفِه..
غاويان..
لمْ نتقِ الماضيين أو نَخَفْ من الذي سوف نلقاه.
*****

أرقٌ يُصيبُ الليل الذي يسبقُ الحدث الكبير..
أُمنيةً تظلُّ قائمةً تُمشطُ شعرها، تُجربُ أكثر من لونٍ لظلِّ العيون..
تُعطرُ الثياب بالعطر الجديد.

مُتَتَالِيَات

ثُمَّ النهاية المعهودة للجميع، زحفٌ... فاستقامةٌ... فانحناء... انتهاء!
لا شيء لا يجرفه المطرُ من بقايانا.
لا شيء يبقي سوى ما قد حفرنا في القلوبِ وفي الصخورِ وما كُتب.
نحو الضوءِ نمضي، نلقي الظلَّ للخلفِ ذكرى تلاحقُنا.

"لا تولِّ النورَ ظَهرَك، فيعوق الظلُّ سَيْرَك"..

هي الحلمُ الذي لم يمسسه فكرُ جنٍّ أو بَشَر...
لم تخطر أبدًا ببالِ قصيدةٍ أو عاشقٍ عقدَ الحياةَ حولَ خصرِ حبيبةٍ، ودّعها عند بابِ الفجرِ، لفَّ الذكرياتِ في ملاءةٍ، نسيها، ورَحَل.
لا شيء يملُكُه غير ذاكرة لا صور بها وقلبٍ يحبُ، ولكن لا يدري إلى أين، لا يجيدُ سوى التَمَني.
هي أبعد من حدودِ الأمنيات.. هي الضوء الذي من لم يرهُ لحظةَ قتلِهِ... مات.

*****

ثُمَّ البِدايَةُ التي لا انتهاءَ بَعْدَها..

.

.

ميلادٌ من رَحِمِ القُبُور..
حياةٌ لا يُخدَش بها قَلبٌ..
ثُمَّ... لا مَوْت.

.

.

"الظلمةُ نورٌ واحْتَجَب"
خَلفَ الجدارِ ضوءٌ خَجِلٌ استَمِلهُ يميل
فقطٍ استدعِ عبارات الغَزَل "بعضًا"... وارتجل
عُذريةُ الأحلامِ -بعد ذلِك- حَوراءَ لَكْ
السماءُ بيتُك مخمليٌ يحملُ الأيامَ عَنْك
القمرُ رفيقُ طريقِكَ المحفوفِ بالحبِ والنجومُ
والشمسُ في نهايةِ الطوفِ تَحْتَفِي بطيفِ طفلَتِكَ الجميلة..
تهديها من ذَهبِها الضوئيِّ قلادة
وصَغيرٌ يُخبئُ لها خلفَ ظهرِهِ زهرةً وحيدة.. تَقفِزُ بها شُكرًا
تسحبُ ذِراعَه شغفًا لِتُريهِ دُميتها الجديدة.. و هديةَ الشمسِ لَها
تَغفو بَعدَ طولِ لَهوٍ.. تحتضنها صغيرةً وتغفو..
وبعضُ الشمسِ بينَكُما سحرٌ دافئٌ لا ينتهي...

تَارِيخٌ جَدِيدٌ

مقتل سقراط "كما لم يرد":

- حلَّ على الأرضِ الغضب.
- يحكمنا أبناء هيرميس.
- صادروا السهامَ الذهبيةَ.
- وأدوا أطفالَ فينوس.
- أرسلونا للعالم السفلي أجمعين.

(يناولُه الكأس)

- "شوكران/ سُمٌ "... امممم، ما أطيبه!!
- نخب من منـ(ــهم) تريدنني أن أشرب؟!

إليها:

- مددتُ مهدًا ذهبيًا بينَ الأرضِ والسماء، لعلَ الخلاصَ يأتي يومًا على يديها.
- أودعتها -و هي عطرٌ- بوادٍ غيرَ ذي ياسمين...
- ترعاكِ الحورياتُ.. نامي واحلمي.
- خبأتُها بأطلانطس، هناك تعلمت.
- بلّورةٌ كريستاليةٌ... كدموع ميدوسا على جمالِها المفقود.
- هنا ليس متحفًا أو معرضًا للتماثيل الحجرية... بل عرينـــ(ـها) وجميعُنا عالقون.

ما السبيل؟ إلى أين؟!!

تاريخٌ مُخْتَلِفٌ

جانبٌ مما كَتَبَت أفروديت:
أدونيس..
لم يأتِ الربيعُ بالطبع..
شجرةُ المرِّ مازالت تبكي رحيلك يا عزيزي.. أغرقَ دمعُها الأرض.
دماؤكَ أنبتت بلونِها ورائحةِ عطري نبتةً رائعة, يدعونها باسم جراحِك "شقائق النعمان".
أرأيتَ كيفَ خلَّف موتَكَ وعطريَ المقدسَ الشافي حياة!!

هيَ:
هي الحياة...
هي الربيعُ عندما يأتي مرتديًا ثوبَ النجاة..
هي من تحملُ الشمسَ بينَ خصلاتِ شعرها..
هي الأحلامُ تصنعها وتصنعها..
هي العطرُ يحملها على موجٍ، ويلقيها على زهرٍ، ويعطيها بعضَ نسيم. بها يغفو القلبُ ولا يخافُ، تحرسه النجوم، تدللُ أنفاسَهُ رائحةُ الأمانِ منها... تقرأُ أحلامَهُ النائمة، تهديها أصدافًا لتحميها حتى تكبر لؤلؤةً تصنعُ لكَ منها قمرًا يداعب ليلَتك.

"لا تبكِ كمن لا ذكرى له، كذلك لا تندم عليها... فالذكرياتُ تحييها"

تَارِيخٌ مُزَيَّفٌ

حسب الأسطورة:
وُلد أدونيس لشجرة المر (والدته بعد أن أصابها غضب أثينا) وكان وسيمًا بدرجة جذبت أفروديت نفسها له فخبأته في صندوق وأرسلته إلى شقيقتها بيرسفوني مليكة العالم السفلي، وطلبت منها ألا تفتحه، وهو ما لم تفعله.

فتحت بيرسفوني الصندوق بدافع من الفضول، فأغرمت به هي الأخرى، وأرادت الاحتفاظ به لنفسها. ولتسوية النزاع بين الإلهتين، حَكَم "زيوس"-ملك الآلهة- بأن يقضي أدونيس نصف العام مع أفروديت، والنصف الآخر مع بيرسفوني.
لكن بيرسفوني أرادت الاحتفاظ به طوال العام، فلجأت إلى إله الحرب أريس، وهو من يعشق أفروديت كثيرًا. ودفعته كي يتقمّص هيئة خنزير برّي ويقتل أدونيس. مات فتم إرساله إلى العالم السفلي.
حاولت أفروديت إقناع زيوس بإعادته للحياة، فلم يستجب إلا بعدما هددت بالانتحار، إذ خافت الآلهة من أن يخلو العالم من الجمال إذا ما نفّذت أفروديت تهديدها.
وهكذا عاد أدونيس ليقضي نصف العام في العالم الأرضي فيعم الحب والجمال، وهي أمور تختفي مع الخريف عندما يعود أدونيس للعالم السفلي.

لكن الواقع... ليس أسطورة.

*****

آخر ما كتبت أفروديت:

أدونيس...

فكرتُ طويلاً قبلَ أن أكتب لك.

لقد أعدتُ النظر في موضوع انتحاري، فكلانا يعلم أن هذا لن يزيد الكون سوى قبحًا عليه (كوني إلهة الجمال) ستكثر العداءات والحروب والموتى (كوني أيضًا المعنية بشؤون الحب والسلام... إلى آخره) مما يعني المزيدَ من الانتشاءِ لـ"آريس"و هو ما لا أريده (تعرف كم أكرهه) لذلك عليَّ أن أهتم بأعمالي كإلهة حتى لا يفسد الكون.

وأعتذر لك إذ لم أستطع إقناع زيوس بإعادتك للحياة. عزيزي، أخشى إخبارك بأنك ستظل في الجحيم للأبد.

رجاءً... بلغ بيرسفوني سلامي، وخبِّرها أني قد سامحتها فيما يتعلق بفتح الصندوق. هيَ في النهاية شقيقتي.

محبتي وإخلاصي..

أفروديت

رِسَالَةٌ سَقَطَتْ مَنْ يَدِ المِرْسَالِ

أفروديت...

وفري عطركِ السحري، واذرفي الدمع من عمقِ الاشتياق الذي سوف لن ينتهي. أدونيس قد ماتَ بالفعل.

رسالته التي لم تصل:
عزيزتي... أشتاقُكِ... لن أعود.
آخر خيطٍ يربطني بالأعلى -حيثُ أنتِ- قد انقطع، ولا طاقة لي بتسلقِ الجبال. فاربطي جرح قلبكِ جيدًا يا حبيبتي، ضمِّديهِ وحدكِ، وانزفيني إذا شئتِ.
لكن.. اذكريني طوالَ الوقتِ، إذا تعبتِ في محاولةِ بَذْرَ حبيَّ داخِلِك!
أما أنا... سألقي كل محبتي لكِ في هذا الخطاب وأرسله بعيدًا بعيدًا، فلا أذكر.
سأمحو كل أثرٍ للسعي نحوك. سأغسل الثياب منَ العطرِ الذي قد عَلِقَ بها من بقايا رَبِيعِك. سأفتش في الوادي الجديد عن غزالةٍ أغازلُ عينيها فألتهي بها وبقفزِها عن تقافزِ ابتسامتك.
وصدقيني... كنتُ أودُ أن أكون معكِ، لكنَّ السحاب لا يناسب أمثالي، يتسبب باختناقي... أتريدين موتي؟!
نهايةً...
سأحتفظ بأشيائك، لا لأنها تنتمي إليكِ، ولا لأنها تشبهك، ولا لأن الذكرى تُندي كلَّ صباحٍ على أوراقها... بل لأنها "جميلة".

خَارِجَ حدودِ الذَاكِرَة

"عائدةٌ من الموتِ لتقتل نفسها"

لا تدري كم عمرًا أسقطته وهي تركضُ باحثةً عن حياة!

كم ابتسامةٍ حقيقيةٍ أنفقت لأجل من لم تكن أعينهم سوى ثقب أسود يبتلعُ فرحتها! وكم ابتسامةً زائفةً قذفتها بوجهٍ حقيقي، فكُتب على كلِ ابتساماتها الزيفُ للأبد!

- كيف حالك؟
- تتوسلُ إليها ألا تسأل!
- تطمئنها بأن الزمانَ قد يضعُ لها طفلاً جميلاً رغم قبحه.

لا تعرفُ الكثير عن الوراثة... لكنها طوت قلبَها على: "لا أظن".

- لعل الحظ يحالفُ في طفرة.

ولكن منذ متى وكان الحظ حليفها؟!

تعرفها جيدًا... تعرفُ خلف أي جفنٍ تُخفي الدموع.

اقتربت كثيراً، ولو شاءت لبكت على قلبِها.. لكنها ابتعدت سريعًا كمن خافت أن تغرقه فيغرق فيه كلاهما.

دمعتان.. احتفظت بإحداهما، وجففت المتسللة.

منَّ الهاتفُ عليها بمكالمة، فتخلصت سريعاً من آثارِ الحزن في صوتها.

كلُ شيء الآن يبدو -في دقةٍ مصطنعةٍ- على ما يرام... تقضي ليلَتها تحاولُ استرجاعَ كابوسٍ رأته بالأمس... كان كابوسًا بحق. تريده لأنه -فقط- كان خارج حدود الذاكرة.. أرادته بشدة... فلم تحصل عليه.

سبق أدبي

"لأننا تعلمنا الحبّ من الحكايا... لم نحصل عليه! أو دعني أتظاهر بالدقة، حصلنا عليهِ ولم نعرفه.

كل الحكايا التي قرأناها طواعيةً أو قُرئت علينا صغارًا، تنتهي بقبلةٍ أو ثوب زفاف أو ربما ما هو أكثر جرأة, وجملة غير مفيدة تقولُ بأنهما "عاشا للأبد في سعادة" أو ما يرادفها. نصدق بلا شك، ربما لأن الراوي لا يكذب، وربما لأن الكاتب كاذب محترف! باختصار.. نختارُ أن نصدق، ونسوقُ لذلكَ الأسباب!

ولكن، أتعرف ما حدث بعدما أسدل ستار وأُغْلِقَ عليهما الباب؟! بالطبع لا تعرف, لذا لا تتقمص دورَ الخبير، لأنك -مثلي- جاهلٌ تمامًا".

هذا ما قُلتهُ، وتركتُ الكتابين على الطاولة، ومَضَيْت.

الآن أبدو سخيفةً أمامَ ذاتي وأمام الأوراقِ التي أَشهدُها يوميًا على سخافاتي، ثُمَّ ما الجدوى من كتابة يومياتي على أي حال!

من قد يصبحُ يومًا مهتمًا بشكلٍ مفاجئ بأنني وجدتُ موظفَ المكتبة رائعًا ووجدني جذابة, فقررت عقاب كلينا بالرحيل للأبد!

علـى كُـلٍ، لـم أَحبـه... لـديَّ قلـبٌ أريـدُ الحفـاظ عليـه، لـن أتحمـل انكسارات أخرى وعليَّ أن أكون حذرة وانتقائية لأقصى حد! هو أيضًا لم يفعل! لذا لا داعي للمبالغة في فلسفة الموقف.

"حصلنا عليهِ ولم نعرفه"!!

مـاذا لـو كانـت كلمـاتي فـي محاولـةِ مضـايقتهِ وحسـب، قد كُتِبَ لهـا الصدق؟! مـاذا لـو كُنّـا كـأبوين رأيـا ابنهمـا المفقود -الـذي لا يعرفـانِ كيف يبدو- يتسولُ منهما وتجاهلاه، أو أكثر... نهراهُ بعيدًا!

كم كُنا قساةً على الحب! كطفلٍ نحاولُ تهذيبه، فنصرخ فيه ليغلق حجرةً عليهِ باكيًا بينما نتمزق!

بدمعة ورعشة، أحاولُ نَفضَ آلامِ الفقد والبرد الذي يصعق قلبي، وأعودُ للفلسفة.

تعيدُ قراءة ما كتبت... تجفف الدمعة التي اختلست طريقًا لتوقع الورقة... تمامًا أسفل التاريخ. تطويها، تدفنُها في كتاب، وتأخذهُ إلى حيثُ تباع الكتب التي زهد أصحابها فيها ورأوا في الجنيهات القليلة ثمنا مغريًا جدًا.

*****

على الجانبِ الآخر، وفي بُعدٍ آخر من الزمن... أنا أُقلب صفحات الكتب القديمة، يناديني كتابٌ بعينه، أبعد ما مال عليهِ من الكتب

الأخرى، أعودُ أقلب الصفحات، لا يعجبني! تسقطُ ورقة، نفس الورقة!!

ولأنني أؤمنُ أن التاريخ هو هؤلاء الذين كانوا أبعد وأكثر جموحًا من أن يصيدهم مؤرخ، الذين أخذوا حصة من الزمن، ونصيبًا لا بأس بهِ من المشاعرِ المتباينة، ولم يسمحوا لكاتبٍ أن يتطفل عليها، دسست الورقةً في جيبي، وفي داخلي انتصار وزهوٍ بالسبقِ الأدبي، ومضيت، لم أشترِ كتابًا واحدًا!

تفتحت عيونُها

ساحرةٌ هذه الصغيرة.
لها عينانِ كعيني والدتِها.. مثل الكرةِ المسحورة. تستطيعُ أن ترى الكون فيهما إذا دققتَ النظر، وأحبتك.
يخرجُ من بينِ أصابعها ضوءٌ يمنحكَ قوة لا يقدر على هزيمتها ظلام... إذا قبضت على سبابتك، وأحبتك.

تجعلكَ رئيساً لليوتوبيا إذا أحببتها، وأحبتك.

في اليوتوبيا "الواقعيةُ لا المكتوبة، حيثُ النقصانُ في حدِ ذاتهِ كمال"..

هذهِ الأيامُ موسمُ حصادَ الشموسِ من أشجارها, ولكن أشجار حديقتي لم تطرح سوى شمسًا واحدة، شمسًا نادرة، تلهو في الصباح، وفي المساء تغفو على كتف الحقيقة وتحلم بالمحال.

في الواقع "اللا منطقي"..
الموت للحياة وليحيَ الممات!!
ترقدُ الشمسُ على فراشِ الليلِ متعبةً، ويبدو الناسُ "كأعجازِ نخلٍ خاوية" نخرَ الزمانُ أجوافَهم وحاربَهم... ولا حبَّ يدافع , ولا حلمَ يذود.
فقط الكراهية.. اليأس الذي يسلسل أيديهم إلى أرجلهم إلى صخورِ العجز، ويسحبهم -تتدلى عقولُهم على قلوبِهم- وهم يجرون خلفَهم أطنانا من خيبةِ الأمل.

عَودَة

"خبئي الدمعةَ للعيد.. فلن نبكي سوى من فرحٍ"
محمود درويش

عودة لليوتوبيا:
(حيث بدأت تحبو الصغيرة.. وتتعلمُ درسَها الأول عن الحياة)

كمعظم الصغارِ في البداية:
تحاول التقدم.. فترجع للوراء، حتى يصيبها اليأسُ فتبكي. وبعد أن تدرك أن البكاءَ لا يُفيد.. تعتدل، وتحاول من جديد.

نظرةٌ خاطفةٌ إلى نفسي ونعود:
أعرفُ كم أن الحديثَ عنها ليسَ جذابًا، لكنها بالنهايةِ أنا...
إننا نتعلمُ بقدرٍ ما نتألم، إذن الألم مفيد. لذا عندما تشعر بالألمِ لا تبكِ.. عندما تنهزم.. لا تبكِ.
وادخر دموعك ليوم النصر، واشكر كل من قتلوك. لأنهم بفعلِ قتلِكَ.. جعلوكَ *دونَ قصدٍ منهم*- تبعثُ خلقًا آخرَ، بقلبٍ دافئٍ لينٍ أملسٍ.. من حديد!

حسنًا... انتهيتُ من تأملِ ذاتي.
نعودُ حيثُ توقفنا.

الدرس الثاني "عن البكاءِ أيضًا":

صغيرتي تبكي...

على صدر الشمسِ تذرفُ دموعَها فيذهبُ نورَها... فكادَ الكونُ أن يختنق.

صغيرتي خشيت أن تقتل العالمَ فأقسمت ألا تبكي إلا من فرحٍ دموعًا باردة تجففها في السحاب، فيثقلُ حملَهُ ثم يسقط، فتحيا بهِ الأرضُ بعدَ موتِها.

ثقي بهِ أَكْثَر

الفتاةُ تعثرَت... كالأخريات!
لكنها الأرقُّ... فلم تخدش مثلهُن بل كَسَرَت جناحًا...
لن تطير!!
لن تُلقح الزهورُ هذا الربيع!
فانتظروا خريفًا في آذار!

*****

لسببٍ خفيّ لا يَعلمُه سواها...
يُصادف أن يكونَ عيدَ الحبِ قبل موسم الزهور في ذكرى موتِ أحدهم.
لعلهم أرادوا التخلصَ من بقايا زهور العام الماضي التي صمدت.
لعلهم أرادوا أن يزوجوا الحبَ الساذجِ الذي يدعونه للموتِ زواجًا كاثوليكيًا للأبد. لا أحد يدري.

*****

ثقي بعقلِكِ أكثر...
فلن يخذلك.. حتى لو فعل، سيعطيك مبررًا يريحك للفشل.
ولنا ربيعٌ سوف يأتي قبل أوانِه... ما دامت الجراحُ تندمل.

مِثَاليَّة

حاسةُ الاستنتاجِ لدى الخيالِ نمت:
التمشُّطُ كذب...
البهارُ على الطعامِ كذب...
التبرجُ خارج البيت حرامٌ، وداخله كذب...

"تعرفين ما سيحلُ بكِ"

هو أيضًا سيلعن من كُثره...
يخبرك بأنك الأجمل... وتعرفين أن هذا لا يقترب حتى من خيال مراهقٍ يعشق أنثى كاملة عقدت توها عقدها الثاني وتزينت به.

-علمًا بأن التزين خداع-

أعتذرُ عن وقاحةِ الحقيقة... فهي كذلك إذا ما أردت أردية النفاق.

*****

ستدركُ يومًا...
ستسمعُ عمن يقترفون من الكذبِ ما يوقعون بهِ بينَ المرءِ وزوجه،
من يتجبرون بدافعٍ من السادية فيمسخون جمال الأوطان..
"جرجونة"* تحجر قلوب من يولدون بأرضها.
وأن الحقيقة نصل مسنون الجانبين... إذا ما أسأنا التقوِّي به، قد يرتدُ بقوةٍ عكسية فيقطعنا.
لكن لن أدفع بالواقع مثالية أحلامٍ تعجبني...
لن أقتل ما تبقى من صدق الإنسانية الآخذ في الانقراض...
فلتظل هكذا حتى تكتمل مثاليتها الناقصة!
لعل الخلاص يأتي يومًا على يديها.

---

*هي المرأة التي تمتلك القدرة على أن تحوّل كل من تنظر إليهم أحجارًا، مثل ميدوسا والتي كانت امرأة جميلة وتحولت بفعل لعنة أثينا إلى جرجونة.

هُولُوكُوسْت الذِكْرَيَاتِ

الألمْ، ضغطُ الدمِ يرتفعُ في إثره، شرارةُ ذكرى صغيرة كافية لصنعِ انفجار.
بغريزةِ الحفاظِ على نبض القلب، بحثتُ عنهُ، احتضنتهُ وانحنيتُ أتحاشى الاختناق.
لم يكن بابًا للهروب أفتحه، قد تهاوى تاركًا فجوةً تمرُ من خلالي لتنقلني إلى حيثُ يمكنني الاعتدال.
ركضتُ ذعرةً مطمئنة بالابتعاد، ألتفتُ... كلُ شيء يتآكل... وهوَ، ينشبُ مخالبهُ -خائفًا- في رقبتي التي يسفرُ عنها حجاب لم أجد وقتًا كافيًا لارتدائه كما ينبغي.
كلُ شيء يتآكل...
أوراقُ شعري الذي لا أحفظه، خواطري المسائية، دفاترُ الأحلام، أدوات التجميل، والثوب الذي لم أرتدهِ يومًا.
الأرضيات لن تعودَ صلبةً يومًا بما يكفي لأقف عليها بلا خوف، السقفُ لن يقيني الشتاء أو الصيف مجددًا. لا شيء سيعودَ لحالهِ يومًا. ولا جدوى ... فالدموعَ لا تطفئ الحرائق الكبيرة.
لا شيء سَيُنقذُ سوى الرماد، وحده يمكنُ أن يبقى.
دفنتُ رأسه في صدري كي لا يرى النار تشتعل، ويتوقف عن خدشي قليلاً.
استدرتُ أجدُ الطريق، وبعد تلك النظرةٍ الآسفة... لم ألتفت.

نُقصان

هو لا يُجيدُ سوى الكذِب...
هو لا يُجيدُ سوى التشدُّقِ بالمحبةِ، واللوذ من الوعود بالهرب.
هـي لا تُكـذِّب هـذيها المملـوء مـن زجاجـات الجنـون. والتلـوُّن يُفهَـمُ عندها... أن تطلي وجهك في المناسبةِ السعيدةِ، وحسب.

"سيعيشـانِ للأبـد"... حسـبَ الادعـاء، وحسـب التمـادي فيـه "فـي سعادة"!
تختارُ أن تصدق!.. يختارُ الاختلاق!!.

وينتهـي الأبـد، وتـذهب السـعادةُ إلـى حيـثُ تُقطـعُ أرجـل الكـاذبين، وتعودُ عرجاء لا تُحركُ ساعِدًا يسعدُ أو يساعد. فقط رأسٌ مطأطـأةٌ تتحاشـى ضـوء الواقعيـة، وملايـين الأثقـالِ مـن ذكريـاتٍ وأنفـاسٍ وصور.
تحرقُ جميعها وتُبقي من كلُّ شـيء زوجينِ اثنينِ، تُنجيهما لتتناجى بهما بين الحين والحين. لتتعزى بأن أربعةَ أعوامِ وطهارةُ قلبها..
كانوا هنا حقًا. تنجيهما كثمنٍ -لما قدمت- كانوا فيهِ من الزاهدين.
والشمس والقمر ما زالا في مداراتِهما..
لا صارت ملكةً ولا يسجدان!

لا نوم

لا أغمضَ لهم جفن..
لا توقفَ العقلُ عن المناورةِ السخيفة..
وقلبٌ صغيرٌ لا يزالُ في محبسِه يئن!

..
هو لا يُصدقُ أنها لم تتسلم أيًا من رسائلهِ عبرَ القمر. أو ربما القمر... رسولٌ كاذبٌ لا يؤتمن. لم يبلغ أنه ينتظر، فاصطحبها غيره إلى شاطئهِ. وهو الموجُ يلطمهُ فلا يبادله.

..
وأمٌ تتنشق هواءَ الصغيرة...
تتدفأُ بها.. تبتسم..
تُقدمُ دمعةً قربانًا أن "يا رب احفظها من كلِ سوء"..
فيُحجبُ عنها بعضٌ، وآخر يصيب.
فتعودُ إلى جوارِ فراشها الذي ما عادَ مهدًا..
تبتلعُ الدمعَ الدافئ والريق..
أن "قدرتَ وما شئتَ فعلت"
بحقِ ما آلمَتْنِي بألمها، ارفعِ الحزنَ عنها، فلا أحزن.

..
و...أنا...

كُنَّا ولكنَّا غَدَوْنَا

ما بين الحبِ واللا اهتمام..
مابين الكآبةِ والابتسام..
مابين الأرضِ والسماءِ المظلمة..
مابين حياةٍ وانقضائها..
مابين نبضةٍ وانقباض قلبها..
على شفا دمعةٍ متحجرة!
...

كُنَّا صغارًا , وكبرنا.
كُنا نتبسم البراءة، تراها في ثغورنا... وتمزقت.
كُنا بين كفينِ تشابكت أصابعهما نصنع نجمات من الدفء، نهديها السماء، ولكنَّا غدونا... خاطرة.
...

الذكرياتُ مقابر
كلما مات حلمٌ أو أمنية أو شيءٌ لم يعد له بنا حياة..
نهيلُ ذكرى عليه.. ونتركه يذوب!
نعم كنُّا... ولكنَّا... غدونا نرقدُ بعيدًا في عمقِ الذاكرة.

طَيفُها

تنثرُ السحرَ... وتعبّئ القلوبَ بعمقِ اللافندر..
تلصقُ ابتسامةً على كلِّ وجهٍ مكتئب..
وتروي بالدموعِ الحكايا..
وتندثر...
تُخفي وجهها بين الوجوه.. تتخبأُ في الشوارعِ التي لا تعرفُ الصمتَ والرحمة. تصيخُ السمع مرة أخرى وتُرهِف القلب علَّها تلمحُ باكيًا أو قلبًا ينكسر.
وثانيةً... تندثر...
ولا أحد يعبأ، كلٌ مشغولٌ بابتسامتهِ الجديدة. ولا أحد يلحظُ احمرارَ عينٍ اقتطعت من فَرْحِها لتخلع عليهِ ابتسامة تصطدمُ بها بينَ الزحامِ من كانت صديقة، لا ترفعُ عينًا، لا تراها.
تمضي... ولا تعتذر.

*****

هُنا تحديدًا... حيثُ تُتَنَشَقُ الذكريات.
حيثُ تبحثُ عن شيءٍ ينتمي/ قد انتمى إليك, ولا تجد!
حيثُ تطلقُ البصرَ على مرماه فلا ترى سوى أسفل قدميك!

أحاولُ اختزال الشعور بما لا يليقُ بها:
"الكراهيـةُ القليلـة، والحـب الأكثـر نـدرة، والخـوفُ الـذي يتعبـأ بـهِ المكان"..
وحـواجزَ مـا بـينَ القلـبِ والقلـب, وتَعثـر إذا مـا حاولـتَ التخطـي, وحماقة لم أعهدني عليها. وأشياءُ لا أعرفها, وعرفت الطريقَ إليَّ.
وانعكاسي في المرآة..
وطيفها الذي يعبرُ إلى ما بعد المحبةِ، ويظلّ.

ونَحنُ نُحِبُّ إذا مَا استَطَعنا سبيلاً إليه

"القلبُ كالسيف, إن لم تقطعهُ قتلك"

وانتهى, لتبدأ.

انتهى اليومُ ليبدأ حَكي المساء المُرتجف في قلبها, ناظرًا انقطاعَ الصوتِ فينسدلُ ستارًا على فصلِها.

لا تُسدل على العينينِ ستارًا.. لا تقتلِ الراوية!! فبعدَ الألف ليلة ليلتينِ سَتَذكرُك فيهما طيفًا في عمقِ الحكايا.

لا تقلل من شأن الحكايا, فلا يظلُ لقلبك بين المساءات المستدفئة بالأحبةِ أثر.

*****

وانتهى الليل لتبدأ الشمسُ في المضي نحو الغياب.
ودوارُ الشمسِ يلاحقها, يستجديها البقاء، ولا جواب!. فيبيتُ ليلتهُ مطأطئ رأسهُ.

لم يحصل منها سوى على ملاحقةٍ وفرحةٍ مؤقتةٍ برؤياها.
ولا تكفَّ عن إغوائهِ، ولا يكفُّ عن التعلق!!

إلى مَنْ لا يَنْبَغِي الشِعْرُ إلا لَهَا

حبيبتي..
لن ترحلي إلا وأنا المذبوح قبلكِ..
قبلةٌ مني إليكِ, وقِبَلِي قنبلة..
سمٌ بجسدي, يطهره حبكِ فأحيا بكِ ولكِ..
ويحلو الخردلُ إذا ما كأسُكِ غَازَلَه!

أمي..
امنحيني بعضًا من صلوات الأم التي لا ترد..
بحق حبي.. باركيني..
كي أجفف بالدماء دموع طينك المعطر بالحياة..
كي أولد مرة أخرى من جرح قلبكِ..
وأعلن عن امتلاء صدري بحبٍ منكِ.. بصرخة!
ومابين صرخة منكِ وصرختي... ميلاد..
عبورٌ من ظلام إلى... ما أجهلُه..

ابنتي..
لا تخافي... أنا هنا..
هاتِ دمعتكِ الصغيرةَ أحتضنها..
سأرسمُ غَدَكِ بوردةٍ وحلمٍ لا ينبغي إلا لعينيكِ..
يا أميرتي الصغيرة..
الحبُ لكِ, والحلمُ لكِ...
والشمسُ تشرقُ -لا لشيءٍ- إلا لتُباهي الكونَ بكِ!

قَلْبُهَا

درجةً درجةً -يا عزيزي- لكي لا يزلَّ قلبُك أو تتعثر..
ضعِ الحزن جانبًا, وارتَح قليلاً، ثمَّ عُدْ..
...
لا.. لم يَعُدْ!
مازال خمرُ الشوقِ للقاءٍ -معتقًا- لم تمسسه شَفَة.
صمتٌ يسألُ اللسانَ العتق.
وجمرُ بخورِ الذكرى -يوقدهُ الهوى- لا ينطفئ..
بقلمٍ رصاص -من ذاك الذي لا ينمحي أثرٌ لهُ- رَسَمَتْ قلبًا وسُلَّمًا!
قلبٌ لها.. وسلم لك..
ربما مساءً، حين تصحو أساطيرُ الجنيَّات، ارتقاهُ إليك.
تخطُّ حُلمًا، ربما في عالمٍ موازٍ تحقق، أملا أن يتغير مسارُ كونِهُ فيقطعَ كونها... ويصير!

"أنتَ النجمة التي أردتُ اصطيادها، تمنيتُ الاحتراق بها.. فلتنثر بعد الاحتراق رماديَ المعطر بك، بقلبك، واذكرني كثيرًا".

يأتي لها قمرٌ, لا تراه... قلما جذبها ضوءُ القمر، دائمًا كان هناكَ نجمٌ يومضُ كمن يرسل نداءات استغاثة أو محبة.. "أن التفتي يا صغيرة".. ومنذُها صارت من تنجذبُ إلى من كان ضياؤهم حقيقيًا، لا مجرد انعكاس، ولو كان خافتًا.

يأتي الجميعُ متأخرين، متعللين بالانشغال، بزحمة السير، بالنسيان الذي خلق منهُ الجميع... لا تعنيها الأعذار!
تبتسم..
تفرشُ عباءة حبٍّ تسعُ كونًا وتمتد..
تمنحُ حلمًا أو تمحو دمعةً..
تأخذُ مقابلاً، رضًا وسعادةً -ذاتيين- بالعطاء..
وتعودُ لداخلِها..
لا أحد يعرفُ ما يجري هنا... بالداخل!.

خِدَاعُ قَلْبٌ

يقترب بالخطوِ... ويقترب..
أترقب، أراقبُ..
أنتظر..
أنظرُ خلف آثارِ الأقدامِ..
خلفَ العينِ..
خَلْف البشرةِ السمراء..
خلف جدارِ القلبِ..
أرى أبْعَد...
لا أرى سوى البعد/ كُلَّ البعدِ...
وأُخرى..
وذكرى..
وكفينِ اعتصرا قلبي قبلاً..
أرى أبناء فينوس..
يغمدونَ الأسهم الذهبية..
يطأطئون رؤوسهمُ الصغيرة خجلاً..
يُدْمعونَ حينَ يتقمصُ حبًا ليس له!
يهربون من السماء/ تحملهُم أجنحةٌ صغيرة..
إلى حيثُ لا يدري أحد!
وأنا... أبتعد.

*كيفَ تَقْتلُ عُصْفُورًا مُغَرِّدًا

أحبها كما لو كنت قَيْس!
لا تدخر لحنًا إلا وقد امتطيته بَحْرًا إليها..
لا تدع بَيْتَ غزلٍ إلا وقد أسكنتها فيه..
دع رمال الصحراء بطولها تدرك كم أنت فيها..
ثمَّ... تمهل!
هي سوف تأتي بخجلِ الخطى مبطئةً..
يهرول قلبها شوقًا إلى الحبِّ / أو شوقًا إليك..
اقترب شيئًا... ستقترب -هي- في المقابل شيئين.
لا تقترب أكثر!
اذهب بعينيك/ بعينيها بعيدًا..
خذها هناك، اتركها وحدها، ثُمَّ عُدْ..
وابتعد.

---

*العنوان مستوحًى من رواية
"To Kill a Mockingbird - By Harber Lee"

كَمَا الفِرْدَوْس

كم رائعةٌ أنتِ!!
كم تبلغُ روعتك، حين يشرق جفنيكِ عن ضوءِ شمسِ فاق نورها الفرح، أقصى المدى!
أو تتبسمين..
أو تهمسين: "صباحُ خيرٍ".. فيغشى الكون خيرٌ أنتِ ملاكُهُ.
أو....
أو تبدئين روتينك اليومي لجعلِ الحياةِ أبهى.
ثُمَّ نهارٌ يخفف قسوةَ حرِّهِ ذكرى منكِ أستظلُّ بها أو هاتف.
وليلٌ أنت مدفأته.
وعمرٌ أنتِ ميلادٌ لهُ.
وطفلةٌ لها عينيكِ، تبدو كظلكِ إذا ما ذهبتِ أو أتيتِ.
وهديةٌ مني إليَّ كلَّ صبحٍ.
ومرساةُ قلب.

عَنِ المَلائِكَةِ

رأيتُ كيف تموتُ الملائكة، ورأيتُ كيف يشبه ذلك غروب الشمسِ الأولى من التاريخ.*

وأنا خَبَرتُ ذلك!
هل تعرف عقوبةَ من يحاول قتل ملاك؟
هل تُدرك اللعنة التي ستلقى عليك؟!

*****

في عالمها...
لا الصخبُ يملأُ المسامع..
ولا القلوبُ تصخبُ حافلةً بعابري سبيلها..
ولا الأحلامُ تتخطى قامة أصحابها القصيرة..
ولا الليلُ يهدأُ مسالمًا بنومٍ..
ولا النهارُ يضيء!

*****

تتأوّهُ متألمة، يعبرون بداخلِ طيفِها، فيصيبهم بعض روح، ويحدثون ثقوبًا بها.
وهيَ كأيّ ملاكٍ.. لا تُرى!

*****

---

*من رواية "صوفيا"- محمد حسن علوان.

هل تعرف لونَ السماء.. أو لون قلبها؟!
إذن، لا تتظاهر بالحياة، فروحُ ملاكِك مثقوبة، وشيطانُك يملأُ ثناياك وباطنك.

*****

هل سمعتم يومًا ملاكًا يبكي، أنا فعلت!
التقطتُ دموعه بكفيَّ، وكفكفتُ دمعي ليهدأ داخلي.
هدهدتُهُ كما يفعلُ البشر، فاستقرّ، وغفا -بقلبي- حالمًا.
أنينهُ... يؤلم.

أَلْوَانُ

أسودُ...
كعمقِ الليل البديع..
كنصفِ مساحةِ رقعةِ الشطرنج..
كنصفِ الحياة..
كلونِ شعرها الحقيقي، بلا أصباغ..
كلونِ عينيه..
كصبغةِ معطفه الذي أدفأ قلبها ليلتها..

كلونِ هاتف كل منهما الذي يملأُ فراغ الهواءِ بما تفيضُ به القلوب، فيصنعا جسرًا-لا مرئيًا- من محبة، تَسعدُ الكائناتُ السماوية إذا مرَّت خلاله.

بروعةِ الأسودِ اللا نهائية..
بغيرةِ الألوانِ منه، لأنهُ دونها يحتفظُ بضوءِ الشمسِ داخله..
بعمقِ ثقبٍ أسودَ في الكون، أسكنها بقلبهِ، ولم يُفلتها.

*****

بنفسجيّ...
كأزهارِ هذهِ الأيام..
كثوبِ الرقصةِ الأولى..
كعمقِ اللافندر..
هكذا تبدو إذا التقت عيناها بعينيه.
كخاتَمِهِ على إصبعها..

كأولِ حرفٍ من حروفِهِ كتبتهُ، دقيقًا، على باطنِ كفِّها..
كشريطةِ شعرِ طفلتها..
كامتلاءِ الربيع بعطرِ البنفسج..
ملأ بربيعهِ قلبها، وبالأمان.

*****

أزرق...
كلونِ ستائرِ شرفتها..
كلونِ سُترتها التي اختارها لها..
كزهرةٍ نادرة، وحيدة...
كمثلها!
كلونِ البحر المؤنثُ بكلِّ ما له من صفات..
بمدِّه، وجزره، وبطشه بمن تجرأ...
كمثلها!

أزرق...
هو لونه المفضل..
يطغى على كلِّ ألوانِ السماء..
ثم ينسكبُ من بينِ علب ألوانها على أرضيةِ المرسم..
تجفُّ بقعته.. فيختفي من كلِّ لوحاتها..
ويختفي هو.

لِنَتَحَلَى بِبَعْضٍ مِنْ أَمَلٍ

دُمية بلاستيكية تؤنسُها..
قلمٌ يبكي كبكائِها كلَّ ليلِ..
ورفيقةُ حزنٍ ودرب..
عينانِ تذهبانِ من الشرودِ إلى أقصاه..
ورأسُ يدورُ خلف التساؤلِ والذهول..
نبتةُ صبارٍ تشبهها..
وزهرةُ أقحوانٍ برية، وحيدة، على حدودٍ كمثلِها..
تردّدُ ترنيمةً قديمة.. وأغنية فلكلور..
موسيقى ترتفع بها وتهبط..
أسماء الحاضرين الذين قد رحلوا..
تُطعمُ روحها الجوعى بعضًا من حُلم..
وتُطعم الخوفَ لليقين بأن الأمانيَ حق..
والحب حق!
والحرُّ المحبُّ لأمهِ الوطن...
-مهما بلغَ من الانكسار- لا يُستَرَق!
شمسُ الصبح كالظلامِ حق..
ويومَ غدٍ لا أعرف ملامحه...
لكنه يعرفُ طريق البيت..
وسيمرُ بوعدِ ربِّه من هنا..
وسنرتشفُ سويًا القهوة المنبهة..
وسأحكي لهُ تفاصيل ما حدث.

بَعْضُ ذَاكِرَةٍ

لنأمل أن جميع الأحلامِ قد تحققت..
وأنني -بطريقةٍ ما- توقفتُ عن البكاء من حينٍ لآخر بلا أسباب مُعلنة.. وأن المخاوف المتعلقةً بكلِّ ما هو آتٍ توقفت عن التحرش بالسعادة.
هل نأمنُ غاراتِ الذاكرة؟!
هل نأمنُ أنها لن تأتينا نائمين في رداءِ حلمٍ، سرعان ما يتبدى طابعه الكابوسي؟!
هل لا زلت تريدُ أن تعرف ماذا أريدُ كهديةً؟!
أُريدُ ذاكرةً جديدةً تتماشى مع مشاعرك نحوي..
أريدُها بيضاء، ورجاءً... لا تلوثها.

غَدًا أَعُودُ للوَطَنِ

المرة الأولى:
اذكر هذا الشعور، سيطر في آخر ليلة تفصلني عن طائرة العودة...

الكثير من الأحاديث الداخلية:
"هشوف ماما بكرة, هشوف بابا و محمد وفداء... أول أما أشوفهم هترمي في حضنهم"... حتى "ليو " القط كنت أتخيل قبل النوم كم طال شعره... كم صار وزنه.
سأرى كل من منحوني الحب بغير شرط من النظرة الأولى, ابتسموا مع صرختي الأولى.. لأني أثبتت -بصرختي- أنني على ما يرام.
"هرجع مصر"..
رغم أنني لم أكن وقتها أحمل لها ما يجذب سوى ما ذكرت، بل على النقيض، كنت أشعر بأمان أكثر بعيدًا عنها!

قبل 25 يناير:
كتبتُ لذكرياتي ذكرى ليلة بكيتُ فيها حتى غفوتُ تحت تأثير الدموع. كتبتُ لها تكهناتي عن سبب البكاء، وكان أحدها "أقتبس":
أغلب الظن أني قد بكيت على براءة أوطان اغتصبوها، فحملت قهرا وأنجبت جيلاً كاملاً ممن لا ذنب لهم. سار بعضهم في الأرض يبحثون عن وطن بالتبني. بعيدًا عن هنا... بعيدًا عمن حُرموا الحرية، فسطوا على حريات الآخرين، بعيدا عمَّن أُرضِعُوا الكراهيةَ في زجاجاتِ الثقافةِ الملوثة، ففشلوا في المحبة.

25 يناير:
بدا الخلاص قريباً، أو -على الأقل- بدا الطريق إليه واضحًا.
شبابٌ أقسم على النيل من مغتصبي من منحتهم الحياة. وعزمتُ على... نيل شرف المشاركة.

يومان في التحرير:
في الطريق... جيوش من حملة الأسلحة البيضاء تقف بالمرصاد لك، إذا تبين أنك ذاهبٌ لأولئك -الخونة- في التحرير!
"اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون"
كان ذلك اليوم هو الخميس ما بعد الأربعاء "ذي الدوابّ".. الساعة السابعة مساءً -بمعجزة- دخلنا الميدان بعد ثلاث ساعات في السيارة، ليحتل الاطمئنان قلبك في لحظات. استقبالٌ بابتسامة.. تفتيش برقي، وشكر لتعاونك، واعتذار "إذا" أزعجوك.
ما إن عبرنا الحاجز حتى دقوا عليه... باستنتاج غريزي، علمت أن ما ذلك إلا قرع لطبول الحرب، وأدركت أن جيش البلطجية كان خلفنا تمامًا، وأننا نجونا بأعجوبة من حرب بالحجارة، وربما الرصاص الحي أو الآلي.
حمدتُ الله، وتنفستُ الوطن.
هي مصر التي قدر الله لي أن أراها قبل أن أموت.
تستطيع أن ترى الحب والتعاون يجوبان الميدان بلا خوف أو قيد.. فقد أَمِنا في ظل شباب الحراسة.
اتخذتُ موقعًا في المستشفى الميداني.. لم أكن أتخيل أني قد أصمد ليومين بين الجراح والدماء. بين إصابةٍ بطلق ناري وساقٍ مكسورة وعينٍ مفقودة... ولكني فعلت! لا لقوةٍ مني، بل لقوة منهم!..
فحين يأتي شابٌ برأس مفتوح ليتم تقطيب جرحه، ويخرج غيرَ آبه بجرحه ليعود لصفوف الحراسة، فلا مجال للجزع!

وجوه لن أنساها...

شابٌ سقط إرهاقًا، لا يستطيع لفظ اسمه، يفيق شيئًا فشيئًا, ليصرخ من ألم ساقه.. فتبتسم مطمئنًا -بصرخته- أنه على ما يرام.

فتاة تصرخ بهستيرية على أخيها الشهيد، فيطمئنها شابٌ أن دم أخيها "في رقبته" ويعدها بالقصاص، فتهدأ.

وجوه وجراح ودماء... وهواء تنفسه قبلي عشرات الشهداء.

أخرج في استراحة مع زميلة لأتنفس المزيد من هواء التحرير، فأقابل سيدة فاضلة أقبلت لتطمئن أن الخيول التي خلفتها معركة الأمس قد أُطعمت، أكاد أبكي من فرط الإنسانية التي أثبتوا لي أنها لم تنقرض بعد!.. ترد زميلتي عليها بالإيجاب.

يجري حوار سريع بين ثلاثتنا، أصل إلى نتيجة أسارع بعرضها:

"عارفة يا طنط.. اكتشفت إن احنا جُمال أوي, الثورة دي طلعت الجمال اللي اتدفن جوانا".

وأخيرًا... لكم:

مصر التي ورثت من جيناتها السمرة، مصر التي أورثتني القدرة على الحب، مصر التي أود العيش فيها... في التحرير.

للمرة الثانية سيطر الشعور ذاته:

غداً أعود للوطن، مجددًا لأهتف بسقوط من أجبروا الجمال فينا على الاختباء.

احْتِضَارٌ

يبكي...
تنسلُّ روحٌ أمامه..
يكفُّ الدمعَ / يبتلعُ الحزن والصراخ..
فيشقانِ بقلبهِ جراحًا أُخرى!

*****

تتمتم بهِ...
فيتمتم لها: "ستكونينَ بخير"..
ويعقدُ إصبعيهِ خلفَ ظهره!
تختلطُ ابتسامةٌ مع حشرجةِ الموت الذي يعمل بجدٍ في داخِلِها..
ويختلطُ انعكاسُها بدمعِهِ..
يتحسسُ نبضَها... يحرصُ أن يلتقط آخر نبضةٍ..
أن تسري ذبذبتُها داخله، لعلها تحفر ذكرى أخيرة!

*****

هل يتوقف نبضُ القلب هكذا؟!
أم مفترضٌ أن يتباطأ منهيًا معزوفتهُ بشكلٍ لائق؟!
هل للروايةِ أن تنتهي قبل أن تُحلُّ العقدة؟!
تحدثُ أحيانًا إذا ماتَ راويها!!
هكذا انتهت الأحلام.

تَـمَّ

رجاءً اترك تعليقك على الكتاب هنا

جهاد نجيب

مهندسة حاسبات حديثة التخرج ومدونة مصرية
أقضي مُعظَم الوَقتِ أكتبُ -كودًا- لهذه الآلة أو تلك
أو نصًا يصفُ هذا الشعور أو ذاك

بدأتُ التدوين عام 2008
في مدونتي الأولى "من يشتري الأحلام"

ثم توقفت عن التدوين فيها
وأنشأتُ أُخرى هي "أحلامٌ استيقظت"

نشرتُ كتابًا إلكترونيًا وحيدًا هو "ماذا لو؟!"

لمزيد من التواصل :
صفحتي على جود ريدز:
http://www.goodreads.com/author/show/4784124._

صفحتي على فيس بوك:
https://www.facebook.com/gihadnageeb/

حسابي على تويتر:
@gnageeb